



Source : AN NAHAR
Date : 13-2-97
Photo No. : 112

الشجرة والغابة

... وماذا لو لم تكن اسرائيل الطرف الضعيف في المعادلة اللبنانية؟ يبدو السؤال غريباً عندما يطرح على هذا الشكل، فاسرائيل تبقى بلا منازع الطرف الاقليمي الاقوى. لكن هذا لم يمنع صانعي الخطاب المهيمن من تأسيس العقيدة "المقاوميتية"، وقد اوضحت عقيدة رسمية بفضل وزارة الاعلام المجاهدة، على فرضية الضعف الاسرائيلي في لبنان. انهما تحديداً الفرضية التي يجب التساؤل عن مدى تطابقها مع التحليل الاستراتيجي الموضوعي.

واقول ما يقال في هذا المجال ان ما يستدعي الاستفراب فعلاً ليس التساؤل عن فرضية الضعف الاسرائيلي واتما شيوعها. ان ، كيف تتحول اسرائيل من الطرف الاقليمي الاقوى الى الطرف الاضعف في جنوب لبنان؟ لا بد ان في الامر ضرباً من السحر.

لانه سحر مادي جداً في الحقيقة، ومصدره سهل للتحديد: فهناك اولاً مفاعيل الميدان العسكري الضيق، وجنوب لبنان مثال على ذلك، وهناك ثانياً هيمنة الفكر الديني ببعده اليومي طبعاً، لا الكلامي.

لا يتطلب الامر تحليلاً معقداً حتى يدرك ان حصر النظر في ميدان عسكري ضيق يعني اخفاء الغابة وراء الشجرة. وبالفعل، فان المشهد اليومي للتعثر الاسرائيلي في جنوب لبنان كفيل بان يتسي المواطن العادي ان غياب التعثر هو السمة الاولى لوضعية اسرائيل الاستراتيجية. لكن التمييز الصعب بين الميداني والاستراتيجي يصير اصعب عندما ينحصر ادراك العالم

المجاور بادوات الفكر الديني، والمشكلة في الفكر الديني انه يقولب العالم على مقاسه، بفضل "عناية الهية" تستدعى عند اللزوم. قد يكون زج "العناية الالهية" في الخطاب المقاوم وسيلة حشد جماهيري لكنه بالتأكيد لا يساعد في ادراك دقيق لميزان القوى. بهذا المعنى، يكون القفز من حادثة اودت بحياة العشرات من جنود العدو، اكان ذلك بفضل "العناية الالهية" لم لا، الى الافتراض بان اسرائيل لم تعد تملك الا مخرج الانسحاب، يكون هذا القفز مجرد انتحار. بالطبع، هناك اكثر من سبب لان تسعى اسرائيل الى الخروج من مأزق الاحتلال في جنوب لبنان. ولكن ليس هناك من سبب حتى الآن لان تقبل الانسحاب من دون ثمن. فمن سوء حظنا، ومن حسن حظ بنيامين نتنياهو، ان الجمهور الاسرائيلي يعرف كيف يقدم المنطق الحماسي على رد الفعل العصبي، اللهم اذا كان رد الفعل على حساينا. ولا حاجة اسرائيلياً الى التسرع، مهما يظهر من مستجدات، حتى لو تكرر سقوط الضحايا بين جنود الاحتلال. على العكس من ذلك، يبقى لنتنياهو متسع من الوقت حتى يحول التوتر القائم في لبنان تصعيداً محسوباً مناسباً دقيقاً. ولعل أهم ما سيحسبه في هذه الحال، هو أن لا تعود اسرائيل الطرف الضعيف في المعادلة.

سمير قصير